

## مختارات للشاعر الأرجنتيني روبرتو خواروث\*

ترجمة وليد السويركي

\* (بوينس آيرس، ١٩٢٥-١٩٩٥) أحد أبرز شعراء أمريكا اللاتينية في القرن العشرين وأكثرهم تفرّداً وأصاله. درس الأدب والفلسفة في جامعة بيونس آيرس وأشرف على مجلة شعر = شعر من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٥. غادر الأرجنتين إلى المنفى خلال فترة حكم الديكتاتور بيرون، فعمل خبيراً لدى اليونسكو في عدة بلدان في أمريكا اللاتينية. حملت جميع دواوينه عنواناً واحداً هو: أشعار عمودية": ( أشعار عمودية ١، أشعار عمودية ٢ وهكذا...) كما أنه لم يضع عناوين لقصائده بل رقمها هي الأخرى مشدداً بذلك على وحدة القول الشعري لديه. تركز تجربة خواروث الشعرية إلى تأمل ميتافيزيقي عميق في شرط الإنسان المتأرجح بين الوعي بسقوطه الحتمي وبين نزوعه نحو المتعالي، وإلى لغة تتخفّف من المجاز و العاطفية . إنه، بكلمات أوكتايفو باث، " شاعرُ اللحظات المطلقة الكبيرُ، حيث كل قصيدة تَبْلُورُ مدهش للكلام، تتحوّل فيه اللغة إلى قطرة ضوء".

١

صوت جديدٌ يفضح لغتي،

لا يشبه الكلام؛

بل هو أشبه بأن تتكفّل شجرةٌ بالغناء عوضاً عن العصفور

أو صخرةٌ بالخرير عوضاً عن الماء،

ذلك صوت العزلة في عزلتها.

كان يرسم النوافذ في كل مكان:  
على الجدران العالية،  
على الجدران الخفيضة،  
على الواجهاات ،  
في الزوايا،  
في الهواء، وحتى على السقوف؛  
كان يرسم النوافذ كما لو أنه يرسم العصافير:  
على الأرض، على الليالي،  
على حواف الموت،  
على القبور، على الأشجار،  
وعلى النظرات الصماء،  
كان يرسم النوافذ حتى على الأبواب؛  
غير أنه لم يرسم باباً قط؛  
إذ لم يكن يريد الدخول أو الخروج ،  
كان يعرف أن ذلك ليس بالممكن،  
كان يريد أن يرى فقط ؛ أن يرى،  
كان يرسم النوافذ في كل مكان.

مصباحٌ مضاءٌ في وضح النهار؛  
ضوءٌ ضائعٌ في الضوء،  
هكذا تنهار نظرية الضوء:  
ويندحر أشدُّه سطوعاً،  
كما تسقط شجرةٌ من ثمرة.

٤

تدور العجلة وتدور،  
تلتف الطرقات  
حول العجلة  
تجرّ العجلة الطرقات كشرائط من غبار  
تدور العجلة وتدور  
ولكن لم يعد ثمة طريق.

٥

يتدحرج سؤال إلى جانب الإنسان كصخرة  
عوض أن تسقط في الفراغ، تجد تجويفاً يسندها،  
ما عاد الأمر يخص بشراً أو آلهة ،  
ولم نعد في موضع الأجوبة؛  
فالصدي نفسه استحال تجويفاً،  
ربّما كان خلاص الإنسان في أن يتدحرج على سفح ذاته،  
متعلقاً بصخرة سؤاله الأعظم.

٦

محتشدٌ بالريح الجرسُ  
مع أنه لا يدقُّ  
محتشدٌ بالتحليق الطيرُ  
مع أنه لا يتحركُ  
محتشدةٌ بالغيوم السماءُ  
مع أنها وحيدة  
محتشد بالصوت الكلامُ  
مع أن لا أحد يقوله  
كل شيء محتشدٌ بالهرب

مع أنه ما من دروب

كلّ الأشياء تهرب صوب حضورها

٧

ترسم العين على السقف الأبيض

شعاعاً أسودَ نجيداً،

ويضطّلع السقف بخداع العين فيسودُّ،

عندها، يُمحي الشعاع وتغمض العين،

هكذا تولد العزلة.

٨

يجعلني سلطانُ النسيان أرى

كتابةً في السماء،

وميلاً دمعاتك البطيء،

يكنّني سلطان النسيان من الإصغاء إليك.

٩

الوجوه التي تخلّيت عنها شيئاً فشيئاً

ظلت تحت وجهك،

وأحياناً تفيض عنك كما لو أن جلدك ما عاد يتسع لها جميعاً؛

الأيدي التي تخلّيت عنها شيئاً فشيئاً

تتصافح أحياناً في يدك،

تمتصّ الأشياء أو تطلقها مثل اسفنجات تكبر؛

والحيوات التي تخلّيت عنها شيئاً فشيئاً

تحيا من بعدك في طيفك،

و ذات يوم سوف تقتحمك، بغتةً، كحياة واحدة؛

لكي تموت، ربّما، بعد أن صارت وحيدة.

١٠

حين ينطفئ المصباح الأخير،  
ينطفئ ما هو أكبر من الضوء؛  
ليس هذا فحسب  
بل إن العتم ليشتعل.  
مع ذلك،  
لا بد من مصابيح لإيقاد العتم؛  
أوليس هنالك نظرات من أجل الأخرى،  
وحيوات من أجل أن نموت، ليس ألا  
و حب لم يخلق إلا للنسيان؟  
ثمّة، على الأقل، ظلمات مُصطفاة تستحق مصابيح عتمٍ خاصّة.

١١

كلّ شيء يشير إلى شيء آخر،  
فإلام تشير حكاية الشجرة العاموديّة؟  
إلام تشير واحة جسدك؟  
إلام يشير الضوء وإلام يشير الليل؟  
إلام يشير تصلّب الموتى الممنهج؟  
ربّما كان كلّ شيء يشير إلى مركز ما؛  
لكنّ كلّ مركز يشير إلى خارجه.

١٢

تبدأ الحياة حيث نريدها أن تبدأ؛  
حيث يكون أحدهم قادراً على أن يبدع شكلاً،  
أو حيث يكون أحدهم قادراً على أن يترك لشكلٍ أن يبدعه؛  
ولكن قبل تدريب اليدين على خلق شكل أو استقباله،  
علينا أن نعلّمهما خلق الحيّز له

تنتهي الحياة أيضاً حيث نريدها أن تنتهي؛  
حيث يكون أحدهم قادراً على أن يمحو شكلاً،  
أو على إلغاء حيّزه؛  
أو حيث يكون أحدهم قادراً على ترك نفسه تمّحي  
لتعدّر الشّكل.

١٣

قليلة هي الميئات الكاملة  
فالمقابر مليئة بالغش،  
والشوارع مليئة بالأشباح  
قليلة هي الميئات الكاملة  
لكنّ الطائر يعرف على أيّ غصن أخير يحطّ،  
والشجرة تعرف أين ينتهي الطائر  
قليلة هي الميئات الكاملة  
والموت أقلّ يقينا في كلّ مرّة،  
فهو تجربة حياة،  
وقد نحتاج حياتين، أحياناً لنكمل، ميتة واحدة،  
قليلة هي الميئات الكاملة  
والأجراس توصل الدقات ذاتها  
لكنّ الواقع لم يعد يقدّم ضمانات  
ولا يكفي، لكي يموت المرء، أن يحيا.

١٤

شارد الذهن، أقتطعُ غصناً  
وإذ أمسك به في يدي،  
أشعر أنّه اختارني لأقطعه،  
جوهرٌ شفاف هي الإرادة،

تُنْقَلِها الرِّيحُ كذَرَّةٍ منْ غبارٍ  
فَتَحْطُ هنا أوْ هناك  
كظِلٍّ ضائعٍ بينِ الأوراقِ،  
لكنْ حينَ تُفَلتُ يدي الغصنِ،  
أحسُّ ، للحظَّةِ، برِعرشةٍ غريبةٍ  
كتلكِ التي يحسُّها، شمسا في يده، قائدُ الظلالِ.

١٥

تدعوني العزلة بكلِّ الأسماءِ  
سوى اسمي  
وتدعوني، أحيانا، باسمِك،  
في أحيانٍ أخرى، تناديني العزلة باسمها هي،  
ولعلِّي أستطيع ، ذات يوم ، دعوتها باسمي،  
عندها فقط، سيكون عليها أن تجيبني.

١٦

أنتِ تمامٌ هجراني؛  
حصانتي، ومنطقتي الحرَّة،  
ولهذا ربَّما، يتحد فيك أقصى تذكري وأقصى نسياني،  
لست أدري هل أنتِ رفقتي  
أم أنتِ، قبل الآوان، عزلتي.

١٧

من مقلع حجارةٍ لا وجود له،  
استخرجت حجارةً موجودةً،  
شيَّدت بها سوراً صغيراً؛  
لأنصب فوقه كلاماً فقط،  
كلاماً أعرفه،

لكنّي لا أستطيع قوله

والآن ، بات شغلي أن أحفر له بدقّة

الثقب الملائم

في تلك الحجارة المستخرجة من مقلع لا وجود له؛

كي يكون بمقدور الريح العابرة أن تقوله.

١٨

يصوغ القلبُ قِمماً،

فهو خزّاف أعالٍ ،

غير أن تلك الأعالي

تمنعه أحيانا من النزول،

عندها ينقبض ، وقد بات أسيرَ صنيعه،

حتّى حدود العودة المستحيلة،

ثمّ يمطر قطرةً قطرةً فوق الزمن الضائع؛

ثمّة حيوات تشبه المطر؛

فهو أيضاً شهادةُ القلوب الأسيرة في الأعالي.

١٩

لا أن ننظر، بل أن نحفر ببساطة الأشياء أو مملأها بالنظرات،

لا أن نفكر، بل أن نصنع ببساطة ما نفكره ، بمجرد التفكير فيه،

لا أن نحبّ، بل أن نهبط ببساطة عبر الحب إلى أعماق ما نحب،

لا أن نحيا، بل أن نحمل ببساطة جوهر الحياة إلى الضفة المقابلة،

لا أن نموت، بل أن نمهد، بثقل الموت، الدرب الذي لا ينتهي.

٢٠

مسوذة نصّ لن يُبيّض أبداً نحنُ

بكلّماته المشطوبة،

المكرّرة،



رديئة الكتابة، وبأخطاء إملائية حتى؛  
بكلماتٍ تنتظر ككلّ الكلمات، لكنها مهجورة هنا،  
مهجورة مرّتين  
بين هوامش مستقيمة وفارغة؛  
مع ذلك، قد يكفي أن تُقرأ هذي المسودة الخرقاء  
مرّة واحدة بصوت عالٍ  
كي نكفّ بعدها عن انتظار النص النهائيّ.

٢١

تستند نبتة إلى أخرى  
وتعيرها زهرة لتستّر عريها،  
فلا شيء يستر أكثر من زهرة،  
غير أنه لاشيء يعري مثلها حين تذبل،  
فآخر المطاف، وحده العري قادر على أن يكبر .

٢٢

جمعُ مهجورٍ  
في كنيسةٍ بلا أجراس،  
بالقرب من ساحةٍ مهجورة،  
في فضاءٍ بلا ظلال،  
بهذا المكان، كلنا يعبر  
أو ينتهي ، أو يبدأ.

٢٣

لست أفهم المسافة،  
كيف أفهم الفضاء الذي يفصلني عن الشجرة  
ما دام لحاؤها يرسم ما ينقص فكري من خطوط؟  
كيف أفهم الفاصل بين الغيمة وعيني،

ما دام شكل الريح يفك أسر الوقت المحتجز في حكايتي الصغيرة؟  
كيف أفهم الصرخة المتحجرة التي تجمد كلام العالم كله،  
التي وإن لم تكن سوى صمت وحيد،  
فهي في الجوهر  
كلمةٌ وحيدة أيضاً؟  
لا أفهم المسافة،  
و الدليل الأخير، ذاك الفضاء العبثي الفاصل بين حياتين :  
وجودي ووجودك.

٢٤

أحياناً، أَلعب لعبةً أن أُبلِّغ نفسي؛  
فأجري، بين الذي كنت والذي سأكون، سباقَ  
الذي أنا كائنه.  
وأحياناً، أَلعب لعبةً أن أتجاوز نفسي  
عندها ، قد أقوم بسباق ذلك الذي لن أكونه.  
غير أن هنالك سباقاً آخر، أَلعب فيه لعبة أن أجعل الآخرين يتجاوزونني،  
ذلك هو السباق الحقيقي.

٢٥

أحياناً يهبط الليل ككتلة صخرية،  
فلا يترك لنا فسحة من فضاء،  
لا تعود يدي قادرة على لَمْسِك  
لأدفع عنّا الموت،  
ولا يعود بوسعي أن أَلمس نفسي  
لأدفع عنّا الغياب؛  
ينفجر شريانٌ فوق تلك الصخرة،

فيفصلني عن فكرتي أيضاً،  
هكذا، يصبح الليل أول القبور.

٢٦

فيما تفعل هذا الأمر أو ذاك،  
هنالك من يموت.

فيما تلمّع حذاءك،

فيما تستسلم للكراهية،

فيما تكتب رسالة مستفيضة

لحبك الوحيد أو غير الوحيد؛

وحتى لو استطعت أن لا تفعل شيئاً،

سيكون هنالك من يموت

وهو يجاهد عبثاً كي يجمع كل الزوايا؛

كي لا يثبت نظره في الجدار؛

حتى لو كنت تموت الآن،

فسيكون هنالك شخص آخر يموت،

رغم رغبتك المشروعة بأن تموت حصرياً

في لحظة خاطفة؛

لذا، إذا ما سُئلت عن حال العالم، فلتجيب بكل بساطة:

هنالك من يموت الآن.